الكمثراة ولا التفاحة ، وكان يجب عليها ان تستعجل قليلا في اكلها ، لان صاحبة البيت انتظرت ان تفرغ من اكلها ، لكي ينهض الجميع ، وتعطي اشارة ترك المائدة . »

« والسيدة ت . جلست الى المائدة في محل لم يعين لها . وذهبت بعد الطعام بعشر دقائق ، وهكذا اخلت بالادب مرتين ؛ لان صاحبة البيت هي التي تعين موطن الجلوس لكل واحد . ومن اللائق ان يبقى الانسان لا اقل من ساعة مع المدعوين قبل ان يغادر البيت » .

تعريب ماركريت بشارة
في مدرسة الراهبات المركزية في بغداد

برج عجيب في ادب

La Tour d' Adab.

بينما كان المنقبون جادين في تنقيباتهم وقفوا على برج مساحته ثمانية امتار قائم على اطلال حديثة ولا يزال شاخصاً من طبقته السفلى قدر متر ونصف ؛ ولما حفروا منفذاً تحت الارض من احد اطرافه ، وجدوا جداراً سمكه نحو متر وهو مبني معترضاً بالكلس والآجر المسنم . اما داخل الجدار ، فكان مشيداً باللبن ، وفي الزاوية الشرقية من دكة البرج السفلى ، كان عرض الفسحة هنالك مترين ، وطولها ثمانية امتار . ولم يتيسر للمنقبين ان يمعنوا في التنقيب ويدرسوا الغرض من تلك الفسحة ، وكان سطحها الاعلى مغشى بطبقة من الخمر ، وعندما ازالوا تلك الطبقة وجدوا تحتها شقفة صغيرة محفوراً عليها اسم بركي Bar-ki ملك كيش ، واصابوا في زوايا البرج وبين اطرافه نخاريب صغاراً عماقاً متخذة من الآجر . ثم ازالوا ما فيها من الرمل المتراكم طمعاً في ان يجدوا فيها اسطوانات مكتوبة . فخاب املهم ، اذ لم يقفوا إلّا على شقفة من اناء حجري بسيط كان في احدها . بيد انهم عثروا في انقاض هذا الهيكل على آثار اخر نفيسة جداً ، وكان عددها عظيماً ، بحيث يقع وصفها في فصل قائم

برأسه . وهذه اللقى الثمينة عوضت عن الاسطوانات المنشودة . ومما يجدر ذكره ان تمثال الملك دا أودو (داود) المعدود من اقدم التماثيل في العالم ، وجد هناك فضلا عن شظايا تماثيل اخر . وكانت خزانة ذلك الهيكل القديم مملوءة كنوزاً تعد من انفس الآثار واعظمها شأناً من تلك الآثار التي كشفت النقاب عن تاريخ هذه البلاد . واهلت المنقب للاطلاع على صنائع سكانها الاقدمين وآدابهم وفنونهم وصنائعهم .

لم يكن البرج قائماً وحده على مصطبة الهيكل ، بل وجد على جانبه كثير من المباني مشيدة بالآجر ، لم تزل جدرانها منتصبة الى علو بضع اقدام ؛ ولما ازال المنقبون النفايات من الغرف ، لم يجدوا اثراً ينبئهم عن الغرض من بنائها وقد ساد على ظنهم انها بنيت في عصور متأخرة لغايات دينية .

اصاب الباحثون غرفتين في طرف مصطبة الهيكل القائم الى جنوبي الزاوية ، وكانتا من شكل وحجم واحد ، وكلتاهما اتخذتا لغرض واحد في ازمنة مختلفة . ويذهب معظم الاثريين الى ان احراق جثث الموتى لم يكن عادة شائعة عند البابليين القدماء ، بيد اني اذهب الى ان هاتين الغرفتين اتخذتا لهذه الغاية ، ولم تتخذ ابداً لاحراق جثث الحيوانات وتقديمها الى الآلهة قرباناً وضحية على ما يزعم بعضهم .

كانت اول الغرف الخارجية قائمة الزوايا ، وقيس طولها فكان ستة امتار و ٣٠ سنتيمتراً في عرض اربعة امتار و ٢٠ سنتيمتراً . وكان عمقها تحت سطح دكة الهيكل متراً و٩ سنتيمترات . وفي داخل هذه الغرفة غرفة اخرى بيضية الشكل ، وكان سمك جدارها ٦٠ سنتيمتراً ، وهي مشيدة بالآجر المسنم والى الطرف الجنوبي الشرقي من هذه الغرفة البيضية كانت دكة اهليليجية طولها متران و٣ سنتيمترات في عرض متر و٧ سنتيمترات مفروشة بالآجر . وفي هذه الغرفة حفرة مقيرة .

وكان متصلا بالطرف الجنوبي الشرقي غرفة مربعة وارضها اوطأ من مستوى الدكة الاهليليجية بقليل وفيها اتون ومدخنة يؤديان الى الدكة المذكورة . وقد دل آجرها على ان الحرارة بلغت اشدها وكانت الجثة المهيأة للاحراق تنقل الى

مسلك ضيق فتوضع على الدكة البيضية فيجتاز لهب الاتون المدخنة فتحرق الجثة وتصيرها رماداً ، وكان الدخان يخرج متصاعداً من منفذ في اعلى السطح المعقود بالآجر . ورماد الجثة بعيد عن رماد الحطب . فلا يختلطان ، فيرفع الاول ويوضع في قوارير كبيرة بمنزلة مدفن لها . كما ذكر في امر الخابئتين ، فان لم يدفن الرماد بهذه الصورة يلقى حينئذ في الحفرة السفلى . فيحفظ فيها بمنزلة رفات. وقد ازال النقابون من احدى تلك المحارق الرماد المتكدس منذ قرون .

الريازة عند السمريين

ذهب فريق من الاثريين منذ زمن طويل الى ان العقد والقبة مأخوذان من الرومان . ولكن عثور المنقبين على عقود كاملة البناء من الآجر المسنم في فارة. وتلو ، ونفر يقضي على ذلك المذهب قضاءاً مبرماً . اذ ان الغرفة البيضية الشكل المعدة لاحراق الجثث وجدت معقودة بالآجر . ولم تزل آثارها ظاهرة للعيان حتى اليوم في هيكل بسمى . والمكشوفات التي توصل اليها علماء الآثار في بابل وقفتهم على فن هندسة البابليين القدماء ، وانبأتهم بانهم كانوا مشغوفين ببناء العقود والقباب منذ ستة آلاف سنة كما هي العادة اليوم في بناء الدور والسراديب في العراق وفي سائر ديار الشرق .

لما نقل الحفارون ما في حفرة المحرقة الاولى ظهر بضع قطع من التماثيل الحجرية البيض . اما نفس ما وجد في حفرة المحرقة الثانية فرأس تمثال مصنوع من المستماز الاسود ، طوله من العنق المقطوعة الى أعلى الرأس ١٥ سنتيمتراً وقد محي وجهه وملامحه بضربة اصابته من آلة قاطعة حادة ذهبت بمحاسنه ، بيد ان رأسه المستدير الاصلع كان كاملا ، وهذا الرأس يماثل في المادة والشكل والصناعة تماثيل جودياه في تلو (تل هوارة) .

خصائص ملوك عصر الآجر المسنم

خلف ملوك عصر الهيكل المشيد بالآجر المسنم، خمسة عشر ملكا او اكثر وهم الملوك الذين اتخذوا في عمارتهم الآجر الرقيق المخدد المستطيل ، وكان اسم احدهم بركي ، ملك كيش المار ذكره . واغلب اولئك الملوك كانوا يعيدون بناء الهيكل القديم او يرممونه . وقد شيدوا بعض الغرف على طول الجهة الشمالية

الشرقية من الدكة ، وفرشوا ارضها بالآجر المخدد ، واقاموا على سطحها القني والمجاري ، ورمموا ظاهر المحرقة .

واشهر الملوك الذين اهتموا بتجديد الهيكل ، وعنوا بتشييد مباني اخر ، كان الملك الذي علم الآجر بثلاثة اخاديد متآزية ، ولم يزل اسم ذلك البناء العظيم مجهولا ، اذ لم يتيسر لاحد النقابين العثور على عادية تميط اللثام عن وجه هذه المسألة .

ووجد الحفارون بالقرب من الطرف الجنوبي الشرقي من الدكة ، مدخل باب غرفة قديم ، وبقي منه قطعتان منحوتتان من حجر ، لونهما وردي خفيف ، وفوقهما قائم ثغرة باب ، وفي نقرة مدار الباب عضادة من خشب تدار فتتحرك وقد صنع مفصل هذا الباب (نرماذجته) بغاية الاتقان ، وصقل وركب في الثغرة ولا اثر للكتابة فيه ويحتمل انها اندرست لطول عهدها .

شرع سرجون ونرأم سن في بناء الهيكل بعد البنائين الاولين ، وقاما بترميمه وتوسيعه ، يثبت ذلك ثبوتاً بيناً ، آجر سرجون الكبير المربع ، وذهب نرأم سن الى ان الترميمات التي قام بها هو وسرجون كانت طفيفة جداً ، ويكاد يكون لا اثر لتجديد المباني في عصريهما ، لان الملك اور انجور ، استأصل كل ماقاما به من ترميم وتجديد ، لما تبوأ عرش المملكة ، وبعد اور انجور ودنجي من اعظم الملوك همة في تشييد المباني والهياكل ، والمعابد في ديار بابل ، فان الآجر المنسوب اليهما يكاد يرى في معظم انقاض المباني القديمة ، كما ان آجر نبوكدنر اصر مبثوث بين بقايا المدن والقصور والعمارات التي قام بتشييدها في عصره .

ان هذين الملكين لما اعادا المباني في ادب لم يتعرضا لتغيير الدكة الواسعة الاطراف بل صاناها وابقياها على حالها الاول على حد ما شيدها البناؤون القدماء غير انهما وسعا ساحة البرج المبنية بالآجر المسنم ، توسيعاً كبيراً ، فانهما جعلا عرض كل من جوانبها ٢٠ متراً ، بعد ان كان ٨ أمتار ، وقد حافظا على هيئة بناء البرج القديم ، فكان جداره الظاهر مشيداً بالآجر ، اما باطنه فكان باللبن ، وقد سقط بعض الآجر من طبقة البرج العليا في الزاوية الجنوبية ، وهذه الآجرات وقفت الاثريين على عدد طبقات البرج ومبلغ ارتفاعه ، والآجر

المكتوب المشيد في وجه الجدار ، كشف الغطاء عن اسماء البنائين ، وفرق بين عمل الواحد وعمل الآخر وميزها بفروق ظاهرة .

ووجدت قساطل مربعة مصنوعة من الآجر بقرب الزاويتين الواقعتين في الشمال والجنوب ، ولا اثر فيها للكتابة وهي مغشـاة بالحمر ، وقد اتخذت قنيات لجر ماء المطر من ارض طبقة البرج الاولى . ويرى في الزاوية الغربية غرفة صغيرة مكتظة بالقساطل ، فعثر فيها النقابون على شقف عديدة من اناء بهيئة زورق .

ولقد محت الطوارئ الطبيعيـة كالمطر والشمس والرياح آثار مجددي بناء الهيكل ومرمميه في القرون الاخيرة . ولم تترك اثراً شاخصاً يستدل به على اولئك الملوك البنائين . فقد ورد في الرقم المسمارية التي كشفت مع شريعة حمورابي هذا ان الملك بنى الهيكل والمدينة ، ولعل المراد بذلك ترميمهما او اعادة بعض المباني فيهما ، لان النقابين لم يعثروا في هيكل ادب على صفيحة آجر تؤيد ما ادعاه الملك حمورابي ، ولعل التنقيبات المقبلة في انقاض (بسمى) تكشف النقاب وتزيل الابهام عن هذه المسألة المهمة في نظر الباحثين المحققين .

اما الآجر المنسوب الى الملك كوديجازو الذي كشف في انقاض اخربة اخر ، فيشير الى انه احد بنائي الهيكل . ويظهر ان مدينـة ادب فقدت بعدئذ مركزها الديني والادبي الاول ، فاهملها الملوك ولم يعودوا الى الاهتمام بامرها فاصبحت نسياً منسياً ، اذ ان الملكين العظيمين : اشور بنيبل ونبو كدنر اصر كانا من المولعين باعادة بناء الهياكل القديمة في الجنوب ، وذلك لم يكترثا مدينة ادب ولم يلتفتا الى هيكلها ، ولا الى مقام المعبودة نن هرسج (سيدة رأس الجبل) .

لقد اصبحت هذه المدينة بعد ان تخلى عنها الملوك الاشداء ، مأوى لبنات آوى ، ومسرحاً للذئاب ، ومربضاً لسائر الاوابد بل هجرها اعراب البادية لانها امست قفراً اجرد ، ولا اثر للماء والحياة فيها .

رزوق عيسى